

الموصل ما بعد داعش رؤية استشرافية

دياري صالح مجيد ❖

المقدمة:

يقول المبعوث الامريكي السابق لمكافحة الارهاب . بريث مكورغ " : أننا اذا ما ركزنا على محاولة حل المشكلات التي يتوقع لها ان تواجهنا بعد تحرير الموصل. فان داعش سوف لن يخرج من هذه المدينة على الاطلاق " . وهي رؤية تذكرنا بما حصل في عراق ما بعد ٢٠٠٣ حين لم تملك الادارة الامريكية ولا قوى المعارضة العراقية اي رؤية واقعية لإدارة التحديات التي ستنشأ مستقبلا . لنواجه بتداعيات خطيرة افرزت مشاهد واسعة من العنف والفوضى والاقত্তال الطائفي. بالحقيقة داعش لم تكن سوى احد مخرجات هذا الخلل الاستراتيجي في التعاطي المبكر مع التحديات العراقية. لذا يبدو بانه لازالت هنالك في واشنطن شخصيات رسمية تسعى الى ايقاعنا بنفس الفخ الذي اسهم في اغراق العراق بمشكلات لا نهاية لها. مما يحتم علينا البدء بالتساؤل عن طبيعة الاشكاليات التي ستبرز في فترة ما بعد داعش في هذه المدينة الاستراتيجية التي يعدها البعض بمثابة الانطلاقة التي ستحدد مصير الجغرافيا - السياسية لكل العراق.

• صراع الحشد - البيشمركة

يبدو ان احد اهم التحديات التي ستواجه الموصل في المرحلة القادمة من الزمن تكمن بالأساس في التنافس العسكري عالي المستوى الذي سيرز بين مجموعتين متناقضتين في التوجهات والاهداف . وهما تحديدا الحشد الشعبي والبيشمركة الكردية . لقد حصلت الكثير من المناسبات التي اشتبك فيها الطرفان في مناطق متعددة على طول خريطة انتشار كلا الطرفين . وقد توجت لاحقا بمجموعة من التحركات السياسية للوصول الى اتفاق لانهاء تداعيات تلك الحوادث . من قبيل ما حصل مثلا في بلدة بشير الواقعة ضمن حدود طوز خورماتو . حيث كانت كثير من الاراء تشير الى انها غير مؤمنة بان هذا السلام سيستمر الى مرحلة قادمة من الزمن.^(١)

(*) أستاذ الجغرافيا
السياسية.
جامعة كربلاء/العراق.

diyari.majid@gmail.com

هذا المشهد يتوقع له ان يتكرر في مناسبات قادمة في الموصل حيث تتصاعد حدة التصريحات بين الطرفين باتجاهات توحى بان هناك صدام ما في العقلية الاستراتيجية التي يعتمد عليها كل طرف في النظر الى جغرافيا هذه المدينة. بعض الحوادث البسيطة التي بدأت بالتشكل هناك يمكن لها ان تنبأنا بطبيعة الخطر الذي بات من الان يهemin على مشهد المستقبل بعد ان الانتهاء من تحرير الموصل في ديسمبر ٢٠١٧ . فبتاريخ ٢٧ يناير من ذلك العام قامت قوات الحشد الشعبي باستهداف مواقع للبيشمركة في سنجار بواسطة قذائف الهاون بعد حصول خلاف حول ادخال مساعدات من قبل احدى منظمات المجتمع المدني الى المناطق الواقعة تحت امرة الحشد. ليليتها سيل من التصريحات المتشنجة بين اطراف عسكرية متعددة محسوبة على الطرفين. رغم نفي اربيل وبغداد بان هذه الشخصيات لا تعبر عن رؤية رسمية لما يدور في اذهان القادة العسكريين في الميدان.

في هذا الصدد قال احد قيادات الحشد الشعبي " اننا مستعدون لشن هجمات خاطفة على البيشمركة في مناطق نينوى المحررة في حال رفضها لاوامر رئيس الوزراء بالانسحاب من تلك المناطق... ان عملية اخراج البيشمركة ستكون اسهل من عملية طرد داعش " (٢).

في حين كان الرد الكردي مؤكدا على ان الاوامر قد صدرت باتجاه الرد على اي محاولة قادمة يتم فيها استهداف البيشمركة من قبل الحشد . وبأن القيادات الميدانية التي تهدد الوضع لا تحسب على شخص رئيس الوزراء في حينها (حيدر العبادي) بل تحسب على شخصيات اخرى تهدف الى ارباك الوضع القائم.

من المتوقع ان تسهم هذه التصريحات المتعارضة في انتاج مزاج شعبي مشحون بين طرفين يملكان كثير من قواعد الدعم المجتمعي لدورهما القتالي . فالاكراذ ينظرون الى البيشمركة على انها المظلة العسكرية التي يستندون اليها لحمايتهم من التهديدات الوجودية المختلفة بما فيها تلك التي مثلها داعش. في حين ينظر ابناء المكون الشيعي في العراق الى الحشد بانه القوة التي اسهمت فعليا في حماية بغداد والجنوب من الوقوع بيد داعش وبانها هي التي كانت وراء الكثير من النجاحات في المحور الغربي من الموصل . وهي لذلك تحظى بتأييد الغالبية الشيعية في ظل الفتوى التي صدرت من النجف لكل العراقيين باتجاه انتاج المنظومة السياسية لهذا الحشد . لذا لن يكون مستغربا ان ينبري كل طرف في التخندق وراء القوة التي يرى فيها مصدرا لحمايته . وهو ما يهيئ الارضية لخلق استقطابات سكانية واسعة في الموصل وخارجها يمكن لها ان تسهم لاحقا في دعم فكرة الصراع في حال غياب الحوار والتعقل عن مسار هذه الاحداث.

داخليا اثار هذا الحدث ردود فعل موصلية واسعة حتى بدا و كان بعض العشائر العربية -السنية قد تحولت الى ناطق باسم البيشمركة نكاية بدور الحشد الشعبي. هنا قال البعض بان عشائر الموصل تقف بالضد من خطوة الحشد حيال البيشمركة . وهو ما

يعني بالضرورة ان هناك قوى محلية تحسب نفسها على العشائر تريد ان تعيد اصطفاها السياسي باتجاه احد اطراف المعادلة من اجل انتاج مُناخ جيوبوليتيكي ما يخدم فكرة توازن القوى في المرحلة القادمة. كما يعني بان الحشد من جانبه سيعمل على استقطاب عشائر عربية -سنية اخرى لدعم موقفه في هذا المشهد الذي ينبأ بمزيد من التفكك المجتمعي في ظل هذا التوجه العالي الخطورة. بين الطرفين سيكون المكون السني خاسرا في ظل لغة العسكرة التي ستشهدها هذه المدينة والتي تزامنت مع الطرح الكردي بان يكون هنالك تشكيل للواء عسكري من العرب والتركمان يكون بأمره وزارة البيشمركة في اربيل . ليتحول لاحقا الى اداة مضافة في الصراع في الموصل وكركوك على حد سواء.

وراء كل ذلك قد يتساءل المرء عن السبب الكامن من طرح هذه المخاوف في ظل التنافس الاقليمي التركي -الايرواني في العراق والموصل تحديداً؟ .

من الضروري ان نفكر كعراقيين بطريقة تستوعب اتجاهات الرؤية الاستراتيجية التي تملكها الاطراف المتنافسة في العراق . فقبل فترة من الزمن تحدثت بعض الجهات الامريكية -التركية عن وجود مشروع ايراني لنقل النفط من خلال انبوب يمر الى البحر المتوسط عبر الموصل . وهنا ستكون سنجار تحديدا العقدة الجغرافية الاهم في مساره الواسع الامتداد^(٣). قد تكون الفكرة لدى البعض غير منطقية. و لكن في الحقيقة ان عالم الطاقة و الجيوبولتيك بالاساس يقوم على مثل هذه الافكار التي يرى فيها البعض خيالا غير مؤثر في العقيدة التي تتبناها القوى المعارضة لايران. سيمتد هذا الانبوب برايهم من الحدود الايرانية ويمر عبر محافظة ديالى ومنها الى بلدة الشرقاط في كركوك ومن خلالها الى تلعفر و سنجار . ليواصل امتداده غربا عبر حلب وحمص ليمر عبر منطقة القلب العلوي في سوريا وصولا الى ميناء اللاذقية على البحر المتوسط . حيث تؤكد العديد من الاراء الغربية ان هنالك محاولة ايرانية عبر شركاء محليين لتعزيز امن هذا الممر الارضي بما يضمن مستقبلا تحقيق وصول ايران الى هذه الواجهة البحرية المهمة جيوبوليتيكيًا. قائمة الحلفاء هذه تضم الحشد الشعبي في العراق . بعض العشائر المهمة في منطقة ربيعة ممن لها نفوذ لتأمين الحدود . وايضا بعض من القوى الكردية في سوريا مضافا لها الفصائل المهمة التي تقاوت هناك من اجل تأمين حلب التي تتسم بموقع استراتيجي رئيسي في هذا السياق.

العقل الاستراتيجي الغربي يسعى الى الربط بين هذا المشروع الافتراضي وبين عملية المحور الجديد للقوة الذي بات يتشكل في الشرق الاوسط ليضم القوى المنافسة لهيمنة الناتو ممثلة بـ (روسيا -ايران وسوريا) . لذا فان هنالك تصور غربي مفاده ان مجمل المعركة التي تجري في هذه الجغرافيا انما تاتي لدوافع امنية خاصة بهذا الانبوب . والذي ياتي وفقا لخطة معدة من قبل الحرس الثوري الايراني يديرها الشخص الاكثر بروزا في الاحداث العسكرية " الجنرال قاسم سليماني " . وهو ما يعد برايهم تهديدا مباشرا

لمصالح الحلفاء بما فيهم اسرائيل^(٤). في هذا الصدد يقول علي خضيرى مستشار السفير الامريكى السابق في بغداد للفترة ٢٠٠٣-٢٠١١ " ان هذا المشروع سيعمل على اثاره مخاوف القيادات الغربية وايضا سيعزز من مخاوف حلفائنا في المنطقة . وذلك للقناعة الراسخة بان هذا المشروع سيعمل على تعزيز النفوذ الايراني ليستمر بالتوسع . اذ ربما يتجه لاحقا نحو منطقة الخليج "^(٥).

القناعة التي يسعى الخطاب الغربي الى ترسيخها لدى الراي العام وفقا لهذه التصورات تسير باتجاه الربط بين خريطة الانتشار الجغرافي للحشد الشعبي في العراق تحديدا وفي بقية النطاقات فيما يتعلق بسوريا . وبين الفكرة المتخيلة حول خط الانابيب . لذا تسعى هذه القوى الى توفير غطاء شرعي مفتعل لاقناع المتسائلين عن جدوى سكوتها على انتشار داعش في هذه النطاقات وغيرها من القوى المتطرفة كجبهة النصرة واحرار الشام . على انها الالية الانسب لتخريب هذا المشروع والحيلولة دون تحوله الى خطر مستقبلي لا يمكن مواجهته .

لعل ذلك هو ما يقف وراء التصريحات التركية التي اكدت من خلالها اردوغان مرارا بان سنجار تعتبر خطا احمر بالنسبة له ولن يسمح باي شكل بان تقع هي او تلغفر بيد الحشد الشعبي . حيث عدها في كثير من المرات بانها نقاط مهمة للتماس بالامن القومي التركي . وذلك على الرغم من ان كلاهما لا يملكان خطا للتماس الحدودي مع تركيا . وهو ما يفسر الى حد ما دعوة البعض الى ان تفعل تركيا الخيار العسكري لردع الحشد وحزب العمال الكردستاني من اجل ابعادهما عن سنجار -تلغفر . ولن يتحقق برايمهم ذلك الا بعد ان توجد انقرة لنفسها قاعدة عسكرية هناك يتم دعمها من قبل حكومة اقليم كردستان^(٦) .

تخشى تركيا من ان يقود تقارب الحشد في تلغفر مع مناطق انتشار PKK في سنجار الى تشكيل تحالف جديد يقوض مصالح تركيا ويعزز من فكرة الممر الارضي الايراني الى البحر المتوسط . لذا اشترطت حكومة اردوغان على بغداد واربيل ان تتعاونوا باتجاه طرد حزب العمال الكردستاني من سنجار وايضا عدم السماح لقوات الحشد الشعبي بالدخول او البقاء في تلغفر . كل ذلك يعيدنا مجددا الى الحديث عن الرؤية الكردية لسنجار التي تعتبر في خطابات اربيل الاخيرة جزء من جغرافية اقليم كردستان وبانه لن يتم التنازل عنها باي شكل من الاشكال . وبان هنالك دفع تركي باتجاه تحويل البيشمركة الكردية الى حليف يتم زجه لدوافع مختلفة في مواجهة مقبلة من الحشد الشعبي . الامر الذي يعني بان هذه البلدة الصغيرة قد تتحول لاحقا الى قنبلة موقوتة يمكن لها ان تفجر صراعا عنيفا يسهم في انتشار حريق العنف والفوضى مجددا بمسميات وتوصيفات جديدة بعد ان ينسحب داعش من المشهد .

ما نحتاجه هنا كعراقيين هو التفكير بمزيد من العقلانية والواقعية تجاه هذه الازمة . فاولا يتوجب التواصل بين بغداد -اربيل لوضع تفاهمات حول تحركات الحشد والبيشمركة .

وضع الليات عقابية صارمة لاي طرف يقوم بالتحرك او التصريح خارج المنظومة الرسمية . والعمل على توفير القناعات والضمانات الكافية للقوى الاخرى بان هذا الافتراض الخاص بانبوب النفط الايراني هو مجرد فكرة خيالية لا اساس لها من الصحة. وبان العراق غير مستعد بالنتيجة ليتحول الى ارض محروقة بسبب هذه الادعاءات . وبان بغداد غير مستعدة للدخول في هذه اللعبة الجيوبولتيكية الشرسة . وبان من مصلحة الجميع التفكير بواقعية اكبر تجاه خطر الارهاب واعادة ضبط مسار العلاقات في الفترة القادمة من الزمن بعد ان فشلت كل القوى في تمرير مشاريعها على الارض العراقية - السورية.

• جيوبولتيك الخنادق

انطلقت العمليات العسكرية لتحرير الموصل بتاريخ ١٧ اكتوبر ٢٠١٦ لينتج عنها بعد ٣ شهور تحرير الساحل الايسر من هذه المدينة . ولتبدأ لاحقا العمليات القتالية الاشد لتحرير الساحل الايمن الاكثر اكتظاظا بالسكان. علامات النصر كانت تلوح في الافق بشكل جلي لتعلن النهاية الحتمية لداعش في هذه المدينة الاستراتيجية التي كانت المحور الاساس في البنية الجغرافية لمشروع القوى الداعمة لداعش.

في مقابل ذلك باتت تتشكل بوادر ازمة جديدة في ظل مشروع التصدي العسكري لداعش . وهي مشكلة ترتبط اساسا ببنية العلاقات بين بغداد -اربيل حيال ملف الموصل . حيث يسعى الجميع الى تعزيز تواجد الارضي عبر مشاريع متعددة واليات مختلفة كلها تمرر تحت عنوان محاربة التطرف. هنا تحديدا بدأت اربيل باصدار اوامرها لحفر خندق يمتد لمسافة ١,٠٥٠ كم يبدا من ربيعة على الحدود السورية ويمر بمدينة سنجار ويصل الى خانقين التي تقع على الحدود العراقية -الايرانية . ليتزامن بشكل واضح مع انتشار قوات البيشمركة الكردية في النطاقات التي بدأت تسيطر عليها في اعقاب الحرب ضد داعش^(٧). قبل ان تقع اربيل في خطأ التقييم الاستراتيجي لخطوة الاستفتاء الفاشلة بتاريخ سبتمبر - ايلول, ٢٠١٧ كانت تنتشر في هذه النطاقات الاعلام الكردية لتعطي انطبعا عن فكرة فرض الامر الواقع تجاه ما يجري في الميدان من تطورات توحى بالنتيجة بان اربيل تمكنت في هذه الحرب من ان تحصل لنفسها على القطعة الاكبر من الكعكة العراقية . حيث تمكنت من اضافة مساحة جغرافية جديدة لها تصل الى قرابة ٥٠٠ كم^(٨).

كان البعض ينظر بحذر شديد الى هذه الخطوة ويعتبرها بانها بداية التفكك الجغرافي للعراق على اعتبار ان هذا الخندق سيفصل بين كردستان وبقية العراق . لذا ينظر دعاة هذا الراي بتشكك الى الادعاءات الكردية التي تقول بان الخندق يهدف الى ابعاد خطر مقاتلي داعش عن المدن الكردية ويعمل ايضا على صد السيارات المفخخة التي عادت ما تأتي عبر ثغرات يجيد داعش استغلالها بشكل جيد^(٩) . كما ان هذا الخندق سيسهم من وجهة نظر اربيل في تقليل امكانية حصول مواجهة بين البيشمركة والحشد الشعبي الذي بات مسيطرا على مداخل

مدينة تلغفر وعلى مقربة من سنجار التي تشكل مرتكزا مهما في مسار الخندق^(١٠). هذا المشروع . الذي لم تسلط عليه الاضواء كثيرا ولم تتم مناقشة ابعاده بشكل سليم . قد انجز في العام ٢٠١٦ قرابة ٦٥٪ منه قبل ان تسهم الازمة المالية في تعطيل انجاز بقية مراحل . حيث اشتركت مع وزارة البيشمركة في تثبيته كحقيقة واقعة على الارض العديد من الخبرات الاجنبية التي تضمنت ٢٦ خبير امريكي وفرنسي فضلا عن ٦٠ اخرين من بقية الدول المساهمة بما يسمى بالتحالف الدولي لمكافحة الارهاب . وهو خندق كان يفترض اتمامه قبل المضي من قبل اربيل في مشروع الاستفتاء على مصير اقليم كردستان فيما اذا سيفصل او يبقى جزء من العراق^(١١).

لا يمكن ان ينكر اي مراقب ما كانت تقوم به البيشمركة من دور مهم في القتال ضد داعش في الموصل^(١٢) وما تركه هذا الامر من تاثير على امن كردستان . رغم ذلك فان هذا الدور لا يبرر براي المتشككين فكرة حفر الخنادق لتكون الالية الامثل لمواجهة داعش . ما لم يكن هناك ترتيبات حكومية معدة مسبقا مع بغداد . لكونها ستكون الحل الامثل لتهيئة الارضية المناسبة والمقنعة باتجاه تبديد مخاوف المستقبل . وهو الامر الذي لم يتوافر حتى الان في ظل النفي المتكرر للعديد من القيادات في المركز ازاء وجود تنسيق مسبق حول فكرة الخندق والجغرافيا التي سيمر عبرها . وهو ما يعطي تصورا واضحا حول وجود تنافس جيوبولتيكي شرس باتت له جذور راسخة في المشهد الحالي . يمكن لها ان تكون عنصر تازيم واقعي في المستقبل ان لم يتم التوصل من الان الى صياغات مناسبة تحكم طبيعة التطورات القادمة . خصوصا في ظل الرغبة التي تشجعها بعض القوى الكردية باتجاه الانفصال وانشاء كردستان المستقلة عن بقية الجسد العراقي . يبدو بان هناك قناعة باتت تتشكل لدى الكثير من الدوائر المؤثرة في بغداد بان هذا الخندق سيتحول لاحقا الى ما يشبه الحدود الجغرافية الجديدة لاقليم كردستان لعزلها تماما عن العراق . وهو بالضبط ما ذهب اليه احد اعضاء لجنة الدفاع البرلمانية حين قال " ان اقليم كردستان يستخدم ذريعة الدفاع ضد هجمات داعش كمبرر لتمير مشروع حفر الخندق . اننا بالحقيقة لا نؤمن بان هذه الالية تاتي للدفاع ضد هجمات داعش . بل نعتقد بانها تهدف ايضا الى فصل كردستان عن العراق وهي خطوة من قبل الحزب الديمقراطي الكردستاني لاعلان قيام الدولة الكردية المستقلة " ^(١٣) . مما يعني بان تعزيز الرؤية الصدامية بين الطرفين حول الابعاد التي قد تكمن مستقبلا وراء حفر الخندق ، بانها قد تكون مدخلا لصراع ما على جغرافيته التي تتميز هي الاخرى بكونها تمر عبر نطاقات يراودها من رواءها تامين مناطق نفطية وزراعية مهمة . كانت بالامس محورا فاعلا للصراع مع داعش الذي ادام تواجده في الساحة العراقية من خلالها . ربما تتعزز هذه الفكرة من خلال التاكيدات التي يطلقها بعض القيادات المهمة في اربيل من قبيل " لقد كانت تلك الاجزاء من الموصل

بالامس ساحة قتال بالنسبة لنا . اما اليوم فهي تشكل الحدود الفعلية لاقليمنا^(١٤) .
 جيوبولتيك الخنادق وتماسها الجغرافي مع الموصل لم تنحصر اثاره فقط بهذه الجزئية .
 بل تعدتها باتجاه التأثير على طبيعة التفاعلات البيئية داخل منظومة الاحزاب الكردية
 ذاتها. حيث يوجد اتهام مباشر من قبل بعض القوى الكردية للحزب الديمقراطي
 الكردستاني بانه يسعى الى حفر خندق يفصل بين اقليمي كردستان على الحدود العراقية
 -السورية . حيث يمتد هذا الخندق لمسافة ١٧ كم من نقطة التقاء نهر الفرات بكردستان
 الجنوبية ليتوجه الى نقطة الوليد الحدودية ومنها الى تل قوش الموصلية . وهو الخندق
 الذي تم معارضته بشكل كبير من قبل حزب السيد جلال الطالباني وحركة التغيير . وهنا
 تحديدا تتهم هذه القوى حزب البارزاني بانه يعمل بهذا الشكل على فرض نوع من
 المقاطعة الجغرافية المتعددة الجوانب على اخوته الكورد تلبية للضغوطات التركية ورغبة في
 تعزيز العلاقات مع انقرة . وايضا في تعزيز نفوذ الحزب في مدينة الموصل عبر اعادة
 تشكيل صورة التوازنات لمصلحته من خلال تشكيل محور انقرة -اربيل والاضرار
 بمنافسيه التقليديين هناك^(١٥) . وهو ما دعى البعض الى التعبير عن امتعاضه من هذه
 الخطوة وما سيعترب عليها من اثار بالقول " ان كردستان الغربية ليست بحاجة الى
 الخنادق . وانما بحاجة الى المساعدة "^(١٦) . وهم يؤكدون بان مثل هذه الخنادق ستحرم
 الكثير من السكان على جانبي الحدود من الاستفادة من مخرجات النشاط الزراعي
 والاقتصادي الذي كان سببا في استقرارهم هناك منذ سنوات طويلة . لتبقى بالنهاية
 ذريعة الحد من تهريب المقاتلين الاجانب الى داعش عبر هذه الحدود آلية مستدامة في
 مضمون الخطاب الذي تقدمه اربيل للدفاع عن خطوتها تلك .

يبدو بان حدة التنافس الانتخابي بين الاحزاب الكردستانية ستشدد وتيرتها في المستقبل
 داخل المدن التي ستكون على تماس مع مسار الخنادق^(١٧) . وهو ما سيفسره البعض على
 انها مجرد آلية لتعزيز فكرة العزل الجغرافي للنطاقات التي تمثل دوائر انتخابية وسيادية
 لبعض القوى على حساب اخرى في خطوة قد تؤسس لاحقا الى انتاج جغرافيا ادارية
 جديدة بشكل قسري في تلك الاجزاء . وهو ما يهدد السلم الاهلي بسيناريوهات صراع
 واسعة ومتشعبة في تحالفاتها التي لن تتوقف عند فكرة التحالفات القومية او المذهبية
 الخالصة . في هذا الصدد من المتوقع ان يشكل المتضررون جبهة واسعة للمواجهة لتشمل
 ايضا السنة العرب وكذلك التركمان الذين باتوا يشكون بشكل علني من الخندق الذي
 يمر بالموصل على انه يستهدف بالاساس افراغ هذه النطاقات منهم . او العمل على
 اخضاعهم لسلطة اربيل دون ارادتهم . في هذا الصدد يقول احد النواب التركمان في مجلس
 النواب العراقي " ان الخندق المعني ، والذي يصل عمقه الى ٢م وعرضه الى ٣م . سوف
 يسمح بضم مدينة الدوز ضمن حدود سيادة اربيل ويفصلها عن مدينة آمرلي التي يتم

حمياتها الان من قبل القوات العراقية ... في الحقيقة ان قرابة ٧٠-٨٠٪ من النطاقات التي ستضم داخل حدود الاقليم ما وراء هذا الخندق هي مناطق يسكنها التركمان و بالذات منها تلغفر في الموصل " (١٨). لا زالت المكونات العراقية في المدن المختلطة سكانيا اسيرة لفكرة الاستهداف من قبل الاخر في ظل التجارب والموروث التاريخي للعلاقات غير المستقرة التي تقف وراءها دوافع وقوى اقليمية متعارضة . وهو ما يجعل التركمان وغيرهم ينظرون لفكرة الخندق على انها تشكل استهدافا مباشرا لمستقبل تواجدهم ودورهم وتغييرا متعمدا لجغرافيتهم وديموغرافيتهم . في حال تعززت هذه المخاوف لاي سبب مضاف مستقبلا . فان الصراع المباشر هو الحدث الاكثر حضورا في مثل هذه المشاهد . مما يتطلب معه الامر البحث من الان في اليات تطمين تلك المكونات . وايضا التفكير جديا بكل الضوابط التي من شأنها ان تقف بوجه فكرة تحول الخندق الى مدخل لصراع واسع الامتداد . هنا علينا ان لا نفكر فقط في الجهة التي ستطلق شرارة تلك المعركة . بل نفكر بالنتائج الكبيرة التي ستتركها على مجمل الموصل . مما يستوجب التفكير بكيفية الوقوف بشجاعة بوجه هذه النتائج التي لن تقود بالنهاية الا الى مزيد من الاستقطاب المجتمعي والحزبي بطريقة تترك اثارها الدموية السيئة على هذا النطاق .

عدم قراءة ردود الفعل المجتمعية تجاه فكرة الخنادق سيقود الى كارثة حقيقية . يكفي ان نذكر هنا بان عدد غير قليل من اهالي الموصل عبروا عن امتعاضهم من قيام داعش في الاشهر الاولى من احتلالهم للمدينة بالتفكير في حفر خندق بعمق ٢ م وعرض ٢ م ايضا من اجل العمل على عزل الموصل عن جوارها . وهو ما شكل بنظر البعض بداية لانهايار الثقة بين عامة الناس وداعش . بالطريقة التي جعلت البعض منهم يوجه خطابا مباشرا لبغداد مناشدا اياها للتحرك من اجل انقاذ المدينة من هذه العزلة التي كاد داعش على وشك تطبيقها واقعيًا (١٩) .

• حزب العمال الكردستاني

افرز المشهد المضطرب في المنطقة بعد صعود داعش تطورات متسارعة وفواعل تجدد دورهم في التأثير على رسم صورة المستقبل بطريقة توحي بان من الخطا التفكير استراتيجيا بان هزيمة الارهاب ستعني تحولا سلميا كاملا في كل المساحات التي يجري القتال حولها . هنا كان لحزب العمال الكردستاني PKK دور مهم في امكانية انتاج تفاعلات مضافة ستفرض مخرجاتها على الموصل في المرحلة القادمة من الزمن .

تمكن حزب العمال الكردستاني من الدخول الى الموصل عبر بوابة سنجار بعد ان تعرضت الى هجوم داعش بتاريخ اغسطس / اب ٢٠١٤ وهو منذ ذلك التاريخ يمثل عقبة جديدة للقوى التي تريد التحكم بالشمال العراقي . خاصة وان البعض يخشى من ان تتحول سنجار الى قنديل ثانياة تسمح لهذا الحزب بالحصول على مزيد من عناصر الدعم

الجيوبوليتيكي في هذه الجغرافيا التي باتت لها امتدادات واسعة على جانبي الحدود العراقية - السورية. لذلك حذرت تركيا مرارا من انها قد تضطر الى التدخل عسكريا في هذا الجزء من العراق تحت ذريعة التغيير الديموغرافي الذي تتهم به الحشد الشعبي وايضا تحت ذريعة قيام حزب العمال الكردستاني بتحويل سنجار الى قاعدة عسكرية جديدة لانطلاق هجماته التي تهدد بنظرهم الامن القومي التركي (٢٠). حيث اكد احمد داوود اوغلو من قبل على المجال الامني التركي الجديد واصفا اياه بالاتي: " ان المجال الامني التركي يبدأ من سوريا وينتهي بالسليمانية في كردستان العراق. وهذا المجال يبدأ تحديدا من اللاذقية ويمر بحلب، ومن الموصل ليصل الى السليمانية." وهو هنا ينصب بلاده راعيا رسميا للتحكم بمستقبل هذا النطاق الواسع والغني بموقعه الجغرافي وبموارده الاقتصادية وثرواته النفطية، متجاهلا اي حلول محلية يناضل مهندسوها من اجل تحقيقها عبر الحكومات الشرعية هناك لتأمين هذه الجغرافيا من خطر داعش (٢١). وهي لا تريد لاي قوة معادية ان يكون لها دور او كلمة في مجمل هذا النطاق الذي يبدو بانها تريد تحويله الى مجال حيوي خالص لمصالحها المستقبلية تحت ذرائع وحجج مختلفة.

في هذا المجال تعتبر كثير من الاراء ان الحزب الديمقراطي الكردستاني KDP حليفا استراتيجيا لتركيا في مواجهة التطلعات المستقبلية لحزب العمال الكردستاني في سنجار. حيث توجد هناك حالة من التنافس السياسي بين الطرفين تعود الى فترات بعيدة . بفعل المكانة التي يحظى بها حزب العمال في الاوساط الايزدية . ناهيك عن دعم خصوم KDP للعمال الكردستاني بهدف تغيير موازين القوى هناك . مما جعل الاترك يدفعون حليفهم هناك للعمل على المطالبة بضم سنجار الى اقليم كردستان وايضا العمل في حينها على زيادة اعدادا البيشمركة المتواجدين في تلك البلدة (٢٢). انسحاب المقاتلين الاكراد في لحظة دخول داعش انتج فراغا عسكريا تمكن حزب العمال من ملئه بذلك. وهو ما قاد لاحقا الى انتاج ازمة جديدة لتركيا وحليفها الاستراتيجي هناك. الامر الذي سيقود الى حالة تنافس جديدة حول مستقبل سنجار بين هذه الاطراف.

لاحقا بدا كل طرف بالعمل الى استمالة السكان المحليين الى جانبه عبر زجهم في مجموعات مسلحة مدعومة عسكريا لمواجهة داعش. وقد بدأت في حينها عملية تجنيد الالاف الشباب الايزديين للانتماء الى تلك المجموعات التي تدعمها اطراف متعارضة. وهو ما قاد لاحقا الى انقسام مجتمعي حول دعاوى تركيا وحلفائها بضرورة مغادرة حزب العمال لسنجار. فهناك اصوات لا زالت تنادي بضرورة بقاء مقاتلي PKK على اعتبار انهم يشكلون حليفا قويا يستطيع حمايتهم من الاخطار القادمة ومن خطاب الكراهية الذي بات له حضور كبير في عقلية السكان في تلك الاجزاء.

في خطوة لاحقة عمل الحزب الديمقراطي الكردستاني على تجنيد الشباب العرب (السنة) لتشكيل لواء

يتبع الى البيشمركة يضم الالاف المقاتلين بحجة حماية النطاقات التي لازالت بعد مهددة من داعش . وهي تضم تحديدا لواء غرب دجلة الذي تناط به مهمة تامين سنجان - تلعفر. لينتج عن ذلك ردة فعل مشابهة عبر قيام PKK بتكثيف الجهود من اجل ضم مقاتلين من القرى العربية القريبة من سنجان عبر التعاون مع بعض الشخصيات العشائرية -السورية واسعة النفوذ في تلك الاجزاء^(٢٣). هنا باتت الصورة اكثر تعقيدا في ظل هذا التحشيد الواسع المدى لقوات باتت مستعدة لمزيد من الصدام المسلح الذي ينبأ بحجم الكارثة التي ستحصل في حال اصرت تركيا و حلفائها على مزيد من الاجراءات التصعيدية عسكريا لانهاء تواجد حزب العمال هناك.

تتفق تركيا والحزب الديمقراطي الكردستاني على ان الهدف الاساس من وجود قوات حزب العمال في سنجان يتمثل في تخريب مشروع استقلال كردستان . وايضا تامين ما يسمى بالهلال الشيعي الذي يمتد بحسب وجهة نظرهم من ايران الى سوريا عبر اقليم كردستان^(٢٤). يبدو بان هذا الراي يحمل كثير من المصادقية لارتباطه بالعقلية الجيوبولتيكية التي تحكم فكرة قطع الطريق على التواصل الايراني مع محور المقاومة وايضا مع فكرة الوصول الى البحر المتوسط عبر الجغرافيا التي لها ارتباط بالمر الارضي الذي تمثله سنجان -تلعفر وايضا كركوك. وهو ما يفسر التاكيدات التركية التي اشارت الى ان عملية درع الفرات سوف تستمر في سوريا والعراق لاحقا لمطاردة القوات الكردية التي تهدد المصالح التركية^(٢٥). وقد جاء ذلك متناسقا مع التلميحات التي قدمها KDP التي اشارت الى ان اربيل قد تستخدم القوة العسكرية لاستعادة سنجان من حزب العمال الكردستاني^(٢٦).

في هذا السياق يبدو بان الموقف الامريكي لازال بعد متوجسا من حليفه الاستراتيجي - تركيا حيال المشاريع التي يريد تطبيقها في هذه الاجزاء من العراق. حيث اكدت كل من بغداد - واشنطن على اعطاء الضوء الاخضر للمجموعة الايزدية المسلحة التي تشكلت برعاية حزب العمال لمحاربة داعش . في ظل ادراك الطرفين لحقيقة ان عدد كبير من الايزديين يتقون بهذه القوات. وبتاريخ ٩ يناير/ كانون الثاني ٢٠١٧ حذر المتحدث السابق لوزارة الخارجية الامريكية اربيل من القيام باي صدام مسلح مع هذه الوحدات الايزدية المسلحة في سنجان مؤكدا بان واشنطن تنتظر لهذه الوحدات على انها مجموعة شرعية . ولاجل ذلك فان اي صراع معها سينظر له على انه صراع مع الايزدية وليس مع حزب العمال الكردستاني^(٢٧).

في ذات الوقت تصر الادارة الامريكية بان المستقبل يجب ان يشهد غيابا واضحا لقوات حزب العمال الكردستاني من سنجان بعد اتمام مهمة تحرير الموصل من داعش. وهو الموقف الذي عارضه هذا الحزب مؤكدا بانه لا توجد قوة قادرة على اخراجه من هناك. مما يعني بان مستقبل سنجان سيكون محورا لمزيد من التصفيات الجيوبولتيكية المعنية بمرحلة ما بعد داعش والمرتبطة بميزان القوى الاقليمية بالدرجة الاساس وما تفرضه من اسقاطات على مشهد التفاعلات المحلية في هذه المدينة.

هنالك في هذا الصدد تصور يميل الى ربط حزب العمال بروسيا وتحالفها المحوري مع ايران في الجبهة السورية تحديدا . واثر ذلك في تحديد المساحة التي يتحرك فيها هذا الحزب وطبيعة الاهداف التي يسعى الى تطبيقها . وهو ما يعني مزيدا من التعقيد في صورة التحولات التي ستجري في مفردات لعبة المحاور في هذا النطاق العالي الاهمية .

• سهل نينوى وجغرافيا الموصل

تواجه الموصل في مرحلة ما بعد داعش تحديا اخر على مقدار عال من الاهمية يتمثل بكيفية المحافظة على الوحدة والتماسك الجغرافي للمدينة سكانيا وسياسيا . خاصة وان هنالك مشاريع عديدة تطرح اليوم باعتبارها بدائل ممكنة التطبيق . من خلالها سيتم فرض الارادات والتصورات التي ستترك ظلها على الخريطة الادارية التقليدية لهذه المدينة . هذه القضية اثارت انتباه العديد من المراقبين . فقد اشارت احدى الحلقات النقاشية التي اجراها معهد ابحاث الشرق الاوسط في اربيل الى ضرورة التساؤل حول مستقبل سهل نينوى بعد التحرير من داعش وعلاقة ذلك بفكرة حماية الاقليات التي تعرضت لاضطهاد وتعذيب بشعين من قبل الارهاب . الامر الذي يتطلب توافر رؤية واستراتيجية واسعة من اجل الموصل وتحديد ما من اجل سهل نينوى بالطريقة التي تعطي للمجتمع الدولي امكانية المساهمة في التحرير والحماية للسكان . فضلا عن ضرورة التوصل الى اتفاق عادل بين بغداد واربييل لادارة هذه الاجزاء (٢٨) .

الاشارة الى فكرة التدخل الدولي واردة ضمنا في كثير من القراءات المعنية بهذا الملف . اذ اصبح هنالك تصور راسخ لدى العديد من المتابعين بان قضية سهل نينوى وخصوصيته الديموغرافية ستشكل مدخلا حيويا لاعادة القوات الاجنبية الى العراق تحت ذريعة حماية السكان المحليين من خطر عودة داعش الى المنطقة مجددا . وهو ما سيضيف مزيدا من التعقيد على مشهد التفاعلات في هذه المدينة التي تمتاز بغناها وبموقعها ومكانها الرمزية المهمة . بالمقابل هنالك رؤى محلية تبحث لها عن دعامة اقليمية تميل الى انتاج جغرافية - ادارية جديدة في الموصل لحماية اقليتها . ويتم ذلك عبر انتاج ثلاث محافظات جديدة واحدة للمسيحيين في سهل نينوى . وثانية للايزديين في سنجار . وثالثة للتركمان في تلعفر (٢٩) . على ان تقوم حكومة اقليم كردستان بتشكيل المظلة السياسية والدستورية لانتاج محافظتي سهل نينوى و سنجان طالما ان اجزاء واسعة منهما تقع الان تحت حماية البيشمركة الكردية . خاصة وان هنالك امكانية لاستفادة اربيل من اي عمليات تنقيب للنقط في سهل نينوى (٣٠) .

قد تكون هذه التصورات مقبولة لدى البعض في اطار حماية الاقليات امام عجز الحكومة المركزية على توفير الدعم والاسناد لسكانها حين اتت داعش لهيمنة على تلك الاجزاء . فان ذلك لا ينفي حقيقة التساؤلات الحرجة التي يتوجب علينا التفكير بها بشكل عقلاني: هل

سيستجيب كل سكان الموصل لقرار تشكيل هذه المحافظات ؟ ما هو مصير الاخرين ممن يعتبرون اقلية في هذه النطاقات ؟ من هي الجهة التي ستفرض كلمتها هناك هل هي اربيل ام بغداد ؟ كيف سينظر لمواردها النفطية وطبيعة الاستثمارات الخاصة بها ؟ واين تبدأ وتنتهي الجغرافية الادارية بكل محافظة من هذه المحافظات ومن هي الجهة التي تقرر ذلك ؟ .

لقد بدأت ملامح تعقيد الامور في سهل نينوى تاخذ مساحة اكبر وحضورا اقوى في المستقبل من خلال مؤشرات لها علاقة بعسكرة المجتمع في بيئة سكانية تمتاز بالتنوع اثنيا ودينيا. حيث قامت الحكومة في بغداد بتدريب وتمويل قرابة ٨٠٠ مقاتل من المسيحيين تحت مظلة الحشد الشعبي . في مقابل قيام اربيل بذات الخطوة في ظل قناعتهم بان سهل نينوى جزء من المناطق المتنازع عليها وبان تأمينه لا يتم الا بالتعاون بين المسيحيين وقوات البيشمركة^(٣١). لغة التوازنات العسكرية و تحويل الاخرين الى بيادق او حلفاء في محاور متضادة تعتبر لغة خطرة ستلقي بظلالها على فكرة التعايش السلمي في سهل نينوى . وهو ما بات يشكل مدخلا جوهريا لدى البعض للمطالبة بإنشاء قاعدة عسكرية امريكية هناك لضمان حماية وامن المنطقة من اي اعتداء قادم. وهو ما يعني بان سهل نينوى اصبح يشكل احد اهم ضوابط العلاقات بين الاطراف التي ذكرت في ظل تضارب توجهاتها من حقيقة تحركاتها تجاه المسيحيين . الذين ينظر غالبية منهم الى بغداد باعتبارها الملاذ الامن الذي يمكن له ان يضمن بقاء مستداما لهم في حال استعادت الاخيرة دورها و اتزانها السياسي.

ان اشكالية التنوع في مدينة الموصل وما يرتبط بها من تصورات خاصة بموضوع سهل نينوى والجغرافيا المستقبلية لهذه المدينة لا تكمن في حقيقتها بحتمية التنوع السكاني الذي عايشته المدينة منذ مئات السنين . بل يكمن في المصالح المتضاربة والاجندات السياسية المتعارضة للقوى السياسية التي تتحدث باسم المكونات المجتمعية . وهو ما يضع مستقبل المدينة على صفيح ساخن في مرحلة ما بعد داعش . خاصة وان الحكومة في بغداد لا زالت بعد غير قادرة على وضع استراتيجيات مناسبة لاعادة الثقة بين المكونات او لمواجهة التساؤلات الحرجة الخاصة بكيفية نظر السكان المحليين للقوى العسكرية المتنوعة التي تسهم اليوم في تامين المدينة بعد التحرير^(٣٢).

تجدد الاشارة الى ان الكثير من الاقلية السكانية في الموصل وبالذات في سهل نينوى غير راضية عن تسليم مصيرها لحكومة اقليم كردستان وتسعى الى ان يكون لها كلمة ما في تحديد مكانتها ومصيرها القادم بما يلبي طموحاتها^(٣٣).

لن يكون سهلا في مرحلة ما بعد داعش الحفاظ على جغرافيا الموصل. حيث ستكون واحدة من التحديات الجسيمة التي تواجه الحكومة المركزية في بغداد. اعادة الثقة بين المكونات وتعزيز التواجد المسيحي في سهل نينوى وحماية بقية الاقلية ستكون مهمة ثقيلة في ظل تراجع حجم الثقة بين المجموعات السكانية المختلفة خصوصا في ظل الاتهامات التي توجه

الى البعض بانهم كانوا ملاذاً امناً لداعش وبان الاخرين جاءوا فاتحين لا محررين. لذلك هنالك حاجة ماسة لابعاد شبح الانتقام بين هذه المكونات وايضا العمل بجدية على تفهم مخاوف السكان المحليين عبر زجهم في مزيد من مفاصل الادارة وصناعة القرار الامني في المرحلة اللاحقة. وهو ما يسهم في انتاج جغرافيا امنية جديدة مدعومة من اهالي الموصل لتعزيز مستقبل آمن بعيد عن كل اشكال الانزلاق الى العنف واعادة انتاج مشاهد الاحتلال من قبل قوى التطرف والجريمة.

• التنافس الاقليمي في الموصل

في الوقت الذي كانت تتقدم فيه القوات العراقية باتجاه تحرير الموصل ينظر البعض الى ان ذلك التطور كان مؤملاً له ان يسهم في تحول ما في ميزان القوى الاقليمي بطريقة تؤثر على الدور التركي بشكل سلبي مستقبلاً. خاصة وان كثير من المراقبين ينظرون الى النصر العراقي على انه مصدر دعم واسناد للدور الايراني في المنطقة. وبالتالي ربما مهما لها في اللعبة الجيوبولتيكية الجارية على مجمل الساحة السورية - العراقية.

ترى تركيا بان الحشد الشعبي يمثل قوة مهمة حليفة للمحور الذي تتزعمه ايران. وبان هنالك ضرورة لتجسيم دوره في الموصل وعدم السماح له بالدخول الى تلعفر التي تتضمن غالبية تركمانية. وبذلك ينظر الاترك الى تواجدهم في بعشيقة على انه يشكل ضمانة لحماية الاكراد والسنة تحديداً من دور الحشد في المرحلة القادمة^(٣٤). متخذة من هذه الذريعة مدخلاً لاستدامة البقاء في الموصل ما بعد التحرير على امل ان يسهم ذلك من وجهة نظرها في رسم ملامح المستقبل بعيداً عن رؤى بغداد التي تعتقد بانها مجرد اداة تاتمر باوامر طهران في تحديد اسلوب ادارة الموصل ومستقبلها.

بالمقابل تسعى الحكومة العراقية الى التاكيد على خطأ الادراك التركي لوضع بغداد. وهي لاجل ذلك تميل في الوقت الحالي الى تقوية علاقتها مع الجانب الامريكي الذي بات له حضور اكبر من ذي قبل في ملف الموصل. لتوصل من خلال ذلك رسالة الى الاترك مفادها ان طهران ليست باللاعب الاساس والمباشر في هذا الملف بدليل ان حكومة العبادي لفي حينها امتنعت عن اعطاء الضوء الاخضر للحشد في الدخول الى ايمن الموصل او تحرير تلعفر. في مقابل محاولات حثيثة تدعمها واشنطن تهدف الى جمع كل صلاحيات ادارة المعركة عسكرياً بيد العبادي باعتباره القائد العام للقوات المسلحة. في محاولة منها لتعزيز مكانة القطعات التي ستساهم في تحرير الموصل والتي تشتمل بشكل خاص على قوات مكافحة الارهاب التي تاتمر بشكل مباشر باوامر العبادي. في مقابل محاولة جادة فيها سعي الى اشراك قطعات الجيش والشرطة الاتحادية بعد ان تحجم صلاحيات وزير الدفاع والداخلية في توجيه الاوامر لمصلحة العبادي^(٣٥). وهي آلية سعى من خلالها الاخير الى امتصاص حدة النقمة الخليجية - التركية على مشاركة الحشد. واعطاء مزيد

من الزخم للقوات العراقية الاخرى في محاولة منه لابعاد شبح التنافس الاقليمي المباشر بين هذه القوى وايران. على الرغم من ذلك هناك تصور مهم لا زال بعد يلقي بظلاله على مستقبل هذه المدينة الاستراتيجية . حيث يشير البعض الى ان هناك امكانية لاندلاع صراع بالنيابة بين قوى مسلحة تتلقى الدعم والمشورة من طرفي المعادلة الاقليمية الاله في المنطقة (تركيا و ايران) . اذ تعمل تركيا على دعم قوات البيشمركة التابعة للبرزاني مضافة لها العمل على دعم بعض مسلحي العشائر العربية في الموصل تحت عنوان حشد نينوى^(٣٦) ليشكل هؤلاء نواة لقوة عسكرية مهمة قد تتحالف لاحقا لمحاربة الحشد الشعبي في الموصل . وعندها ستسمر حالة الاستقطاب الطائفي - القومي وسينتقل حريق الصراع الى المدن الاخرى . ليدخل العراق الى مرحلة احتراب جديدة بعد داعش. لذا فان اولوية تركيا في الموصل تاتي امتدادا لخطوطها الحمراء في سوريا و التي تقوم على الاتي :

- ١- اخلاء المنطقة من حزب العمال الكردستاني ومن وحدات حماية الشعب الكردي
- ٢- الحيلولة دون ان يكون هناك اي ممر ارضي يصل اقليم روجافا بالبحر المتوسط^(٣٧)
- ٣- ان لا يكون هناك اي تواجد او تحالف محتمل بين حزب العمال والحشد في الموصل.
- ٤- ان لا يكون هناك هيمنة شيعية على الموصل السنية . والمساهمة بتحديد البنية السياسية القادمة للموصل بعد داعش^(٣٨).
- ٥- امكانية التدخل العسكري المباشر في حال ارتكبت اي مجازر بحق مواطني الموصل من قبل الحشد الشعبي^(٣٩).

في مقابل هذه الخطوط الحمراء التي تمثل المعطيات الاساسية للاستراتيجية التركية في الموصل . فان هناك سيناريو اخر لا زال ماثلا امام اعين المراقبين. ففي حال قامت تركيا بالتحرك مباشرة الى خارج معسكر بعشيقه باي ذريعة كانت . فان هناك امكانية لقيام بغداد باستدعاء حزب العمال الكردستاني والحشد الشعبي^(٤٠) للقيام بمهمة مشتركة في اي نطاق يسهم في خلق نوع من التوازنات التي تجبر تركيا على التفكير مليا قبل ان تقدم على هذه الخطوة في اي مرحلة من مراحل الحرب ضد داعش او ما بعدها. وهو ما قد يقود الى قيام تركيا بالعمل على دعوة حلفائها في العراق الى العمل الى تفكيك الموصل تحت ذرائع مختلفة تقود بالنهاية الى اضعاف قوة تواجد الحشد في الموصل وكركوك تحديدا . كما ستقود لاحقا الى تواجد عسكري رسمي عبر القواعد العسكرية التركية^(٤١). وهو السيناريو الذي باتت كثير من ملامحه تبرز في الالونة الاخيرة مهددا سلامة الجغرافيا العراقية في الصميم لمصلحة تركيا التي ترى في ان اوراق اللعبة باتت تنسحب من يديها و تتساقط بشكل متتابع . وهو ما تعده خسارة في معركتها الاقليمية مع ايران على المصلحة والنفوذ في المنطقة.

لذلك يشير البعض الى ان المستقبل لن يشهد تخفيفا لحدة الصراع في هذه الجغرافيا الواسعة التي تقع الموصل ضمن خرائطها . طالما ان القوى الاقليمية باقية على متابعة مساراتها في التنافس على الجغرافيا والموارد هناك لتعزيز مراكز نفوذها وقوتها ضد بعضها البعض. وهو ما يتوقع له ان يسهم في انتاج مستويات و مشاهد جديدة للصراع في مرحلة ما بعد داعش . ستسهم في مزيد من الاستنزاف لمواطني سوريا والعراق. مما يتطلب معه الامر التفكير باليات جديدة لادارة الازمة دوليا واقليميا والتفكير ببدائل اخرى تسمح بانتاج تحولات سلمية جديدة في هذا المستقبل . ربما بذات الطريقة التي توصلت اليها اجتماعات استانة ٤ التي حددت نطاقات لتخفيف التوتر والعنف بهدف عزل داعش ومحاربتها تمهيدا لحماية الجغرافيا السورية في حلب والرقعة من التفكك . وهو المشهد الذي قد يشكل مقاربة ما للموصل خصوصا حين يتعلق الامر بالعلاقات الايرانية-التركية وبالتوافقات الامريكية-الروسية.

حتى الان يبدو ان هنالك مخاوف ما تجعلنا نضع العديد من علامات الاستفهام حول الاستراتيجية الامريكية - التركية في المرحلة القادمة من الزمن . خصوصا وان هنالك تصورات متعارضة مع الجانب العراقي حول الهدف من محاربة داعش والتحركات الميدانية المرتبطة به. في تلك الفترة اكدت بعض القيادات الامريكية بان تحركات الحشد الشعبي باتجاه القيروان كانت تهدف بالنهاية الى السيطرة على مدينة البعاج الاستراتيجية. ليتوافق ذلك وتحركات الجيش السوري لتأمين البادية من تواجد داعش . لينتهي المطاف بالطرفين الى تأمين الحدود والالتقاء في ممر ارضي . ترى واشنطن بانه ممر اخر يلتف على تواجدها في شمال -شرق سوريا من اجل الوصول الى البحر المتوسط (٤٢). وهو ما يعني بان واشنطن ستعمل مع حلفائها من اجل تخريب هذا المشروع عبر التواجد العسكري الرسمي في هذه المساحة التي سيطر عليها قوات الحشد مغادرتها تحت ذريعة ان هذا المشروع " الافتراضي " يخدم النفوذ الايراني في المنطقة . ليكون بذلك مساهمة الامريكان في الحرب ضد داعش جزء من خطوة استباقية لقطع الطريق على ايران وحلفائها عبر التقدم خطوة على الاخرين في تحرير الرقعة -حلب تحديدا. وهو ما سيعني بان لغة التفكير الجيوبولتيكي التي تؤمن بها الادارة الامريكية بهذه الطريقة سوف لن تسهم في صناعة تسويات ممكنة في مرحلة الموصل ما بعد داعش . طالما استمرت بالنظر الى حرب العراقيين ضد الارهاب على انها خدمة للمصالح الايرانية.

• الاشكالية السكانية في الموصل بعد داعش

كثيرا ما يدور في اذهان المتابعين لاحداث الموصل شيء من المقاربات بالوضع الخاص بمدينة بغداد بعد ٢٠٠٣ . ففي بغداد نهبت المراكز الحكومية برعاية امريكية واضحة ودمرت كثير من المباني والبنى التحتية الاساسية . وكذلك حصل في الموصل التي خسرت العديد من مقومات بنيتها كمدينة- متروبوليتانية. بغداد شهدت ما بعد الحرب الطائفية فيها للاعوام ٢٠٠٦-٢٠٠٧ تحولات جديدة في المزاج الشعبي وفي السياسات السكانية التي مورست بشكل خاطئ بحجة تهدأة التوترات الامنية. وهو ما يتوقع له ان يحصل بشكل سيء في الموصل ايضا.

الجغرافيا -السكانية الجديدة التي انتجت قسريا في بغداد . اسهمت في تعزيز فكرة العزل السكاني على اساس هوياتي مدعم بجدران كونكريتية تشبه في جوهرها فكرة الفصل العنصري بين المجموعات السكانية المختلفة في المدينة الواحدة. لم تقضي هذه الاستراتيجية الى شيء ايجابي بقدر ما اسهمت في اغتراب الهويات وتمزيقها بطريقة خبيثة عبر تكديسها مكانيا في ازقة ونطاقات متصادمة. هذا المشهد يمكن له ان يضيف . في حال تطبيقه . مزيدا من التعقيد على البنية السكانية للموصل . وهي بالاساس مدينة تتسم بتعقيد اكبر من مدينة بغداد في تنوعها الديني والمذهبي والعرقي.

في هذا الخصوص يقول المختص مايكل نايتس Michael Knights بالشؤون العراقية ان اشكالية الموصل في مرحلة ما بعد داعش ستكون اساسا في كيفية اقناع اولئك الذين تركوا المدينة من الاقليات هربا من داعش باتجاه اقليم كردستان والمهجر في اوربا بكيفية العودة وبان مدينتهم اصبحت آمنة وبانهم يملكون القدرة على العيش مجددا في ذات النطاق بشيء من الامان^(٤٣) . وهو تحد كبير يتطلب وجود خطط واستراتيجيات سكانية بعيدة المدى تسمح في انتاج هذا المشهد من التفاعلات الاجتماعية الايجابية التي باتت تشكل مصدرا مهما من مصادر انتاج المستقبل العراقي . لكونها تحولت الى محك مهم لاثبات جدوى المنظومة الحكومية ليس في الموصل فحسب بل في النطاقات الاخرى من الوطن حيث تتميز اكثر من مدينة بكونها مشابهة في قدرها بما ستنتجه الموصل من صورة لهذا المستقبل.

خطورة هذا التحدي تكمن في ان الظروف التي ادت الى انتاج داعش في الموصل تحديدا لا زال كثير منها بعد قائما . وسيقود لاحقا الى عدم توقف الالة الاجرامية لهذا التنظيم عن انتاج مشاهد اخرى من العنف . وهو ما يغذي مخاوف الاقليات من العودة . التي يبدو بانها لن تكون آمنة ولن تخلو من مشاهد العزل السكاني مالم يتم انتاج عراق امن ومستقر^(٤٤) . وهي امنية لا زالت بعيدة المنال في ظل اجواء عد الاستقرار المستمرة والتي يبدو بانها تمهد لمزيد من الاربك في البنية الجيوبولتيكية للموصل في المرحلة القادمة من الزمن . وهو ما سيلقي بظلاله على هواجس السكان و تطلعاتهم.

هوامش البحث

- (1) Florian Neuhof, " Uneasy alliance between Kurds and Shiites in Iraq under further strain ", The National, April 28 , 2016.
- (٢) حول هذه التصريحات يمكن الاطلاع على :
موقع روداو الالكتروني. " قيادي في الحشد الشعبي يهدد بإخراج قوات البيشمركة من
نينوى " يناير ٢٨ - ٢٠١٧.
- (3) Martin Chulov, " Amid Syrian chaos, Iran's game plan emerges, a path to the Mediterranean", The Guardian, October 8, 2016.
- (4) Tood Wood, " Iran soon to control land corridor to the Mediterranean" ,
The Washington Times, October 25, 2016.
- (5) Martin Chulov, op.cit
- (6) Yahya Boston, " Turkish troops should be stationed in SIInjar ", Daily Sabah,
November 13, 2016.
- (7) Martin Chulov," 650 mile trench stakes out claim for bigger Kurdish territory in
Iraq" , The Guardian ,January 20, 2017.
- (8) Ibid.
- (9) Rudaw, " Trenches around Kurdistan borders against war and terrorism" ,
July 15, 2014.
- (10) Iraqi Trade Link News Agency, " Trench seperates Kurdish and Popular forces "
November 28, 2016.
- (11) Iraqi Trade Link News Agency, "65% of controversial Kurdish trench
completed", February 1, 2016.
- (12) Martin Chulov, " Fighting for every yard: On the ground with Kurdish troops
pushing into Mosul ", The Guardian, October 17, 2016.
- (13) Rikar Hussein, " Kurdish trenches against IS draw Iraq Ire" , VOA ,
January 6, 2016.
- (14) Brian Rohan And Balint Szlanko, As Iraqi Kurdistan eyes statehood, a border
takes shape " , EKurd Daily, December 5, 2016.
- (15) Fehim Tastekin, " KRG trench divides Syria, Iraqi Kurds " , Al Monitor, April 21, 2014.

- (16) Abdul Khaleq Dosky, " Syrians and Iraqis protest the Kurdish Berlin Wall ", Niqash , April 17, 2014.
- (١٧) شالو محمد " خندق كركوك يوسع الهوة بين المدينة النفطية والاقليم " . نقاش ٨ مايو-أيار ٢٠١٤ .
- (18) Daily Mail Newspaper, " Iraq Turkmens alarmed by Kurdish trench", January 11, 2016.
- (19) Joanna Paraszuzuk, " Mosul resident to Baghdad: Apparently Mosul is no longer part of Iraq to you", Radio Free Europe, January 22, 2015.
- (20) Paul Iddon, " Pressure mounts on Pkk over Sinjar presence", Al Monitor, May 1, 2016.
- (٢١) ديارى صالح مجيد " المجال الامني التركي: اعادة تقييم جيوبولتيكي " . ميدل ايست اون لاين . ٣٠ يونيو ٢٠١٦ .
- (22) Fehim Tastejin, "Will Iraq's Sinjar become new base for PKK?", AL Monitor, May 1, 2016.
- (23) Bas News, " Syrian Sheikh Recruits Arab Fighters for PKK in Sinjar: Official' , April 4, 2017.
- (24) Bas News, "PKK in Sinjar Aiming to Block Kurdish Independence: Syrian Kurdish Leader", March 12, 2017.
- (25) Paul Iddon, " Pressure mounts on Pkk over Sinjar presence".
- (26) Ibid.
- (27) Sarkawt Shamulddin, " PKK Vs. KDP in Sinjar; What Is Washington's Role?" , Kurdish Policy, January 29, 2017.
- (28) Middle East research Institute, " Liberation Mosul and the future of Ninewa", June 29, 2016.
- (29) Ypusif Kailan, " The Nineveh plains and the future of minorities in Iraq", Rudaw, February 15, 2017.
- (30) Ibid.
- (31) Rudaw, Baghdad arms Christian volunteers in volatile Nineveh plains", October 2, 2016.
- (32) Jamie Dettmer, " Revenga or reconciliation- the future of Mosul", VOA, April 19, 2017.
- (33) Ibid.

- (34) Omar Al Saleh, " Battle for Mosul 'real test' for regional powers” , Al Jazeera, October 30, 2016 .
- (35) Michael R. Gordon, " Iraqi forces open a front in west Mosul, Trying to squeeze ISIS, The New York Times, May 4, 2017.
- (36) Yusuf Selman Inanc, " Mosul may be scene for Turkish – Iranian dispute", Daily Sabah, November 3, 2016.
- (37) Mark townsend, " Syria's Kurds march on to Raqqa and the sea", The Guardian, May 6, 2017.
- (38) Yusuf Selman Inanc, Op.Cit.
- (39) Ibid.
- (40) Muhanad Seloom, "Turkish and Iranian Interests Cross Paths in Mosul” , Al Sharq Forum, November 23, 2016.
- (41) Ibid.
- (42) Martin Chulov, " Iran changes course of road to Mediterranean coast to avoid US forces", The Guardian, May 16, 2017.
- (43) Siddhartha mahanta, " If ISIS loses Mosul, what then?", The Atlantic, October 19, 2016.
- (44) Ranj Alaaldin, " Victory in the Mosul offensive will not solve Iraqi's problem", The Guardian, October 17, 2016.